الإنتفاضة اللبنانية والدور الآتي

أمين الجميّل

قضية لبنان قضية دور

بعدما توهمت بعض النظريات والايديولوجيات أن اساس الاستقرار قد يكون ببناء الدول على وحدة العرق ، او وحدة الدين ، او الطائفية المتزمتة ... بقي لبنان يطل على هذا العالم ، ليؤكد أن ليس أجدر من الانسان نفسه أساسًا لبناء أية دولة ، او لصياغة أي كيان .

وأحرص هنا ، وفاء للتاريخ ، على الالماع الى الشيخ بيار الجميل الذي بقي ، وسط الانفعالية الواهمة ، ووسط التآمر الساخط ، يطل من عمق الحقيقة ليحطم شعارات الانتحار ، وليرد عن أصالة هذا الوطن ، بايمان عنيد بالانسان ، أمواج التدمير والضياع ، فبقي معكم يثبت جدارة هذا الوطن في ان يكون ، وحقه في أن يستمر في حدسه الصادق . لا معنى ان يعيش الانسان ضمن فصيلته بل الرهان الحقيقي ان نثبت اننا قادرون على اللقاء مع الآخر ، على التفاعل الانساني اذ آن الآوان كي يخرج التاريخ الحضاري للشعوب من العرقية ، والطائفية ، واي لون من الوان التفرقة المستنزفة ، ليدخل في رحاب تجربة جديدة تقوم على الحوار الحضاري بين الشعوب من أجل التكامل بديل التطاحن والتآكل . فبعد أن استنفدت الارض احتياطي شعوبها عبر نهضات منفردة لكل جماعة ، بقي الانسان يعاني ، على عتبة هذا القرن الطالع ، تحديًا مشتركًا وواحدًا . ما هي صيغة الحضور الجديد ؟

لذلك لا نجد غير «التفاعل» و «التكامل» بين الشعوب منهجًا مرحليًا لمواجهة هذا التحدي وتخطيه . بهذا الحس العميق اندفعت الانتفاضة اللبنانية على اكتاف الكتائب ، على اكتاف كل المؤمنين بلبنان وطنًا للانسان ، ولتثبت بعنفوان هذا الجبل ، وبأصالة هذه التربة ، اننا قادرون على ان نقف في وجه من خطط لنا الموت ، بل واننا جديرون بصياغة تحول تاريخي كبير يسجل عنادنا على بناء تاريخ لا على اساس «الخصومات» و «المطامع» ، بل على اساس «التكامل» و «التفاعل» .

هذا هو أصل المغامرة اللبنانية التي راح العديد من رؤساء العالم ، كل على طريقته ، وكلما اقتربوا من ادراك عمق هذا الرهان ، يعترفون بان لبنان حاجة هذا العالم في رأيهم : لو لم يكن لبنان موجودًا لكان وجب اختراعه كما جاء على لسان أكثر من مسؤول عربي كبير .

من هنا يمكن أن نفهم ، بشكل افضل ربما ، تضحيات الكتائب اللبنانية وقناعاتها الجوهرية الثابتة ، ومن هنا ايضًا يمكن ان نفهم المسؤولية الكبرى التي تنتظرنا أمام هذا المفترق التاريخي الحاسم . انها مسؤولية لبنان اولاً وأخيرًا ، فبمقدار ما نعي هذه المسؤولية ونتحرك على أساسها نستطيع أن نشارك بشكل ايجابي في تقدم المنطقة لكي تجد ذاتها ، وتتحرر من التشنجات المستنزفة ، ويستطيع لبنان ، بالتالي ، أن ينعم بالاستقرار والرخاء . فلبنان دور قبل ان يكون شيئًا آخر ، انه هو الذي يمسك بيد الشرق نحو الجوهر الانساني ، نحو المثل الحديثة : الحرية ، المساواة ، الانفتاح ... كما انه السباق في معرفة ومعايشة كنه وجوهر الحقيقة في الشرق وتعريفها الى الغرب .

هكذا كان يتحدد الدور اللبناني على الدوام ، فاذا سقطت المنطقة مرة في المد العثماني الذي مارس تحت **غطاء الدين الواحد التسلط** لم يكن لغير اللبنانيين ان ينهضوا وان يفجروا **الحس القومي** في ابناء الشرق العربي يستحثونهم على الكرامة وعلى اليقظة ، واذا انحرف المد القومي بتأثير الظروف او عوامل محددة لا تخفى على أحد نحو الاستعباد الذاتي والتخلف ، كان للبنانيين ، هذه المرة ايضًا أن يطرحوا **صيغة الوطنية** ضمانًا للحفاظ على خصوصيات الذات وعلى حرية تطورها ، واذا جر المد الوطني الى التفسخ والتشقق تحقيقًا لهذا المأرب او ذاك ، كان لا بد للبنانيين ان يخرجوا من لعبة التراجع بالتاريخ تراجعًا يسحق الانسان ويبعثره ، لينطلق بدءًا من الذات الانسانية الحية ، فيحدد مدى التكامل والتفاعل الحيوي الشامل بين الذوات الخلاقة في قلب العالم الصناعي و «المعلوماتي» الضاغط لكي لا نقول العالم المادي الجارف .

لبنان على عتبة القرن الطالع

بهذا المنظور السياسي نواجه تحديات المرحلة المقبلة ونرسم خطوط المستقبل ، فنحن نؤمن ايمانًا قاطعًا بضرورة انفتاحنا على المنطقة متحررين من رواسب الماضي او من حساسيات المرحلة الحاضرة وهذا يتطلب منهجية تحرك أساسية لا بد ان تقوم على دعامتين :

الاولى : انفتاح كل لبنان بعضه على بعض انفتاحًا خلاقًا لا مختلقًا

لن نقبل ان نعيد مأساة الماضي بالقدر نفسه الذي لا نقبل ان نقع فريسة مؤامرات التفتيت والبعثرة . فنحن نؤمن ان وحدة لبنان تبنى حيثما وحينما تكون حرية وتعددية

القناعات فيه حقًا ، وهبة تقدمها كل جماعة للاخرى مادة للتفاعل لا للتخلي ، عند ذاك تتعين الولادة الفعلية ، الولادة الحقيقية لتاريخ جديد للبنان اللبناني ، وتنظيم ذلك عبر الوحدات الاقليمية ، فالتاريخ وحده يخلق المناطق اما القانون فيقتصر دوره على تنظيم المناطق واتخاذ التدابير التي من شأنها ان تطور شخصيتها وذاتيتها الفريدة . هذا هو المفهوم الجديد للديمقراطية اللبنانية . هذه الديمقراطية التي نريد هي ديمقراطية نابعة من الواقع اللبناني ، فبقدر ما هي الصيغة اللبنانية صيغة مركبة يجب ان تكون الديمقراطية اللبنانية « ديمقراطية مركبة » كما قلنا في ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ في الرابية في محاضرتنا « الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل » ، فالوحدات الاقليمية ليست للقطيعة او للتقسيم او للانفصال . الوحدات الاقليمية هي شكل تنظيمي سليم لدفع روحية الانفتاح واللقاء والتفاعل في انائها الحيوي .

لقد آن لجبلنا ان يخرج من مهزلة التجارب بين شرق وغرب . لنجتمع جميعًا حول نقطة ارتكاز واحدة هي لبنان اولاً ، ومن نقطة الارتكاز هذه ننطلق الى الشرق العربي رجاء التفاعل والتكامل ، والى العالم بأسره رجاء التقدم والرخاء . هنا تكمن فضيلة الميثاق في انه وضع لبنان على طريق البدء بالعمل على البحث عن الشخصية اللبنانية ، وبالعمل من ثم على الانطلاق من هذه الشخصية وتحقيقها تحقيقًا فعالاً وبناء (اللارجوع الى الغرب ، واللاخضوع الى العرب بل التعاون واللقاء حول اهداف مشتركة) .

الثانية : كل لبنان يلتقي مع الآخرين او لا يلتقي مع احد

ان أساس الوحدة اللبنانية يحتم على جميع أطراف هذا الوطن وجماعاته الاقرار بان التوجه الى أي بلد من بلدان المنطقة او أية دولة من دول العالم يجب ان يكون باسم لبنان الواحد وعبر لبنان الواحد : اي نحن نرفض ان يحسب اللبنانيون المسلمون على العرب وان تقطع نتيجة ذلك خطوط الاتصال بين المسيحيين والشرق العربي ، كما نرفض ان يكون التوجه اللبناني الى الغرب حكرًا على المسيحيين ، رغم ريادتهم في هذا المضمار ، فكل موقف يجب ان يحظى بشبه اجماع وطني كحد أدنى .

لهذا يجب على العروبة ان تدرك بعد تجربتها الغالية على الارض اللبنانية ان ليس في مصلحتها الاستئثار بالمسلمين اللبنانيين ومعاداة المسيحيين ، بل ان كل مصلحتهم ان يسعوا الى دعم كل اللبنانيين مسلمين ومسيحيين ، بدلاً من ان يكون الدعم موجهًا لفئة دون أخرى او لفئة على اخرى . فهذا التكتيك لا يجر الا التورّط . من هنا كان يجب ، مثلاً ، العمل على تصحيح المسار الفلسطيني في بداية الحرب واقناع الفلسطينيين كظاهرة لموقف العروبة من لبنان بعدم التوهم بان تأليب الفئات اللبنانية بعضًا على بعض قادر ان يرد شبرًا واحدًا من الوطن الفلسطيني ، بل اكثر من ذلك ، فالفلسطينيون مثلاً الذين يسعون بتأكيدات ياسر عرفات وبلسان جورج حبش الى اقامة دولة للفلسطينيين يتعايش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون عليهم ان لا يعرقلوا احياء الدولة اللبنانية التي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون والتي يمكن ان تساعدهم على استرجاع ارضهم .

بهذا الايمان العارم والواعي تحركنا بناء على رصيدنا الشخصي والكتائبي واللبناني لنتصح الفلسطينيين ولنرفع عن لبنان معاناة جديدة محتملة . فالمرحلة الحاضرة يجب ان تبنى على حسابات جديدة ، فتفاهم المشاكل اللبنانية الاخيرة مع الفلسطينيين نتج في الاصل عن سوء تقدير في الحسابات التي يجب ان تبني أسس العلاقات معهم . لقد اصبحت حقيقة الوضع الفلسطيني على الساحة اللبنانية تتلخص في الواقع التالي: صارت المقاومة اكبر من ان ترجع الى المخيمات ولكنها بقيت اصغر من ان ترجع الى فلسطين .

لذلك فان العمل السياسي اللبناني يفترض وضع خطة تعالج هذا الواقع الجديد على أساس واحد هو ضمان السيادة اللبنانية . فنحن لا نريد للفلسطينيين او لغيرهم الابادة ، بل ان أية علاقة مع لبنان لا يمكن ان تقام الا على شرط أولي هو ضمان الحرية والكرامة وسيادة القانون والدولة على كافة الاراضي اللبنانية .

من هنا نحن لم نحمل السلاح لخوض حرب اهلية ، فهذا أصغر من ان يشدنا ، بل حمل ابناؤنا السلاح مجبرين للدفاع ببطولة نادرة ، وبشجاعة فائقة ، عن ترسيخ السيادة اللبنانية ، وعن الدور اللبناني في المنطقة ، رغم كل ما أحطنا به ، او ما فرض علينا من مخططات التآمر . حملنا السلاح في سبيل لبنان الكبير ، في سبيل الانفتاح ورفضنا باصرار وقد كلفنا رفضنا أغلى التضحيات ، رفضنا شهوات التقزيم ، ومؤامرات التحجيم ، رفضنا صيغة لبنان الصغير ان ذاتنا الغنية بالعطاء عرفت كيف تحمي نفسها بالتضحيات والصمود ، وهي تعرف ايضاً كيف « تبني » نفسها بالوعي وباللقاء مع الآخر . لقد آن لجميع المتعاملين معنا أن يقتنعوا بان لا قيمة لأي اجتهاد سياسي الا انطلاقًا من العنفوان الصلب الذي هو في أساس الوجود اللبناني .

لم يكن أهون علينا ان نقبل بالتقسيم ، اذ كان يكفي ان نومئ بالقبول ، والجميع يدرك مسؤولية الكتائب اللبنانية في وقوفها بوجه جميع المغريات والضغوط التي أتت علينا من كل اتجاه ، وارتضيناها مسؤولية اكبر ، جديرة بمجد الروح اللبناني ، فسلكنا طريق التحدي واقتحام الصعاب ، لا الانكفاء في قطعة من ارض صغرت او كبرت : فلبنان ضمير العالم ونبضه الروحي . اي ان سهم الحضور اللبناني متجه دائمًا الى الآخر ، يشع من الذات المتميزة بخصوصيات خلاقة ولكنها لا تبقى في دائرة الذات لمجرد ان تتخطاها بل لتحقيق هذه الذات على الصعيد الكوني : هذا هو اصل المغامرة اللبنانية ، وهذه هي القاعدة الكتائبية . لذلك كان كلما ضيق على لبنان حدود الرؤية ، واريد له ان يشتمل بجاعاته ، كان يشتمل بالاقفلاع والتآكل والغياب ، ولذلك كان كلما اتسعت مسافة الرؤية اللبنانية وامتدت ، اخذ وهج الحضور وأوجه : لبنان لكي يكون لا يكون الا كونيًا وشرقيًا ، لأن من يملك الكل لا يعجز عن الجزء ، والعالم العربي جزء من الكون الانساني .

بهذه القناعات نبني حدود علاقاتنا مع الآخرين ، وخاصة مع سوريا ، فتأكيدًا

لارادتنا بان لا تكون علاقتنا مع سوريا علاقة مرحلية او رهينة ظروف معينة ، جهدنا في تأسيس هذه العلاقة في ضوء الاعتبارين التاليين :

١. الانفتاح على سوريا وجه من وجوه قناعتنا بانفتاح لبنان على العالم العربي وعلى العالم باسره .

٢. الانفتاح على سوريا او على أي بلد آخر لا يمكن ان يبنى الا على اساس الاحترام المتبادل واستقلال مطلق لكل الاطراف .

من هذا المنطلق تعاملنا مع سوريا على أسس الكرامة والصدق ، ولما وقع انحراف عن الخط بسبب هذا العامل او ذاك ، او نتيجة هذه الاعتبارات او تلك ، اختلّ توازن العلاقات ، والكل يعلم كم ضحينا وعلى حساب مصالحنا السياسية الشخصية لانقاذ علاقات لبنان مع سوريا من المأساة التي وصلنا اليها . فالوفاء والعنفوان يقتضيان علينا أن ننصح السوريين لنعينهم على انقاذ انفسهم بنفس السعي الذي بذلناه لانقاذ لبنان ، غير ان رياح بعض عناصر السلطة السورية جرت على غير ما كانت تشتهيه القيادة العليا في دمشق . من هنا كانت اعادة تقويم الاوضاع هي أفضل ما يساعد في الخروج من محنة العلاقات . فبمقدار ما نحن أمناء على تاريخ لبنان ، نحترم جغرافيته ونعمل على أساسها .

اننا لا نكن للسوريين أي حقد رغم كل ما حصل في لبنان ، بل اننا ندعو الى اقامة علاقة مميزة مع السوريين ولكن من غير ان يسمح أحد لنفسه بالتعدي على حريتنا وكرامتنا ، او بالتآمر علينا . ان المعادلة « امن سوريا من أمن لبنان » ليست كافية لتبرير السلوك السوري المتفرد او المعاند في لبنان لانها تؤدي الى الاقرار بان الفوضى في لبنان تنتج عن الفوضى في سوريا هذا دون ان ننسى ان هذه المعادلة تقود ايضًا الى الاقرار بأن أمن سوريا هو من أمن تركيا ومن أمن العراق الى آخره .

لقد اثبت صمودنا ان مشاكل لبنان ليست نتيجة ما يسمى « بالفراغ » :

– « فراغ الشرعية » . فالجميع يذكر اننا تحت القصف والتنكيل قمنا بواجبنا الوطني لانتخاب رئيس الجمهورية .

– « فراغ الامن » : والجميع يذكر كذلك انتفاضة اللبناني لحماية نفسه من الذل والتسلط .

لا ليست مشاكلنا من « الفراغ » بقدر ما هي ، بالدرجة الاولى ، نتيجة « التدخلات » المتعددة والمختلفة في شؤون البيت اللبناني ، ضمن هذا السياق ، نعرف ان الدخول السوري الى لبنان كان نتيجة سلسلة من التدخلات ، منذ بداية الازمة ، ولم يكن فقط سببًا لانقاذ لبنان من الازمة بل ان واقعًا شرق اوسطيًا ودوليًا حمل سوريا على الدخول الى لبنان . علينا ان نعي ذلك وأن نلعب دورنا على اساسه .

لم نتآمر على أحد ، ولم نعتد على احد ، بل على العكس كنا مخلصين في كل

علاقاتنا ولا نزال من أجل وضع حد لانهيار لبنان ، ومن اجل الانطلاق في مسيرة البناء والاعمار والتقدم ومن اجل استعادة الدور اللبناني .

لبنان صاحب دور في الشرق الاوسط هو الوفاق الروحي والانساني او وفاق الرخاء

لا بد للدول الكبرى او للاطراف المتعاملة مع الشرق العربي ان تقتنع ان الطاقة الاقتصادية او القوة العسكرية لا تقيمان أي استقرار هنا ، فالشرق اساس حضوره واستقراره « الدور الانساني » .

وحده لبنان قادر أن يقوم بهذا الدور : فبحكم كونه « خلاصة » هذا الشرق هو كذلك فعل خلاصه ، هو المؤهل طبيعيًا ان يركز الانفتاح الديني وان يمد الحوار الانساني بين جوهر الاديان والحضارات التي نشأت في الشرق الاوسط اذ هو يملك انسانيًا وجغرافيًا وتاريخيًا سبل الاتصال بكل الجماعات . ومرحلة التحول السياسي القائمة حاليًا تبرز بشكل اوضح الدور اللبناني . فاذا بدأت المنطقة تسجل مرحلة انفتاح فيما بينها عبر مساعي الصلح والسلام بين العرب واسرائيل ، واذا اتخذ هذا الانفتاح خطوط الحوار الديني : الاسلام ، اليهودية ، المسيحية كما نجد مع الخميني وفي ظاهرة تأييد اليهود لقيام الجمهورية الاسلامية ورعايته ليهود ايران ، ومع الخميني وكبوجي في سعيهما لاقامة مؤتمر مسيحي – اسلامي بشأن القدس وكما يتحدد مشروع السادات لاقامة مسجد وكنيسة وكنيس على جبل في سيناء احتفاء بالسلام الآتي على المنطقة ودعوته لقداسة البابا لتدشينها بحضور شيخ الازهر وبابا الأقباط وكبير حاخامي اسرائيل... اذا كان كل ذلك ، فمن الاولى ، ان يتحقق هذا الانفتاح بين اللبنانيين المسلمين والمسيحيين ، مقدمة لانفتاح مسلمي ومسيحيي وأقليات المنطقة بعضًا على بعض.

لذلك ، لم يرق للكثير من الماركسيين خطنا الواضح في تأكيد وحدة لبنان ، بل رمونا بتهم التقسيم تغطية لاعمالهم وتمويهًا لمخططاتهم.ففي مصلحة معظم هؤلاء تمزيق لبنان مقدمة لتمزيق المنطقة ، وهو الشكل الوحيد الذي يمكنهم من ايجاد بؤر نفوذ لهم . فبعض الشيوعيين يخشون ان يتجه واقع المنطقة نحو الكيانات الكبرى ، هذا الاتجاه الذي بدا يتضح في تقسيم لبنان ومنع تقسيم سوريا... وذلك لكون هذه الكيانات ترعاها المظلة الدولية ولكون الشيوعيين لا يجدون مجالاً للتواجد ضمن هذه الكيانات الكبرى بحكم اعتماد الاستراتيجية الشيوعية على سياسة التطويق والمختار في ترسيخ نفوذها... فواضح من خلال السنين العشرين الماضية ان ليس لدى الاتحاد السوفياتي أو الدول الراديكالية الرافضة اي حل للشرق الاوسط ، بل تلخص تحركهم باستغلال كل شيء لايجاد مراكز نفوذ على حساب الشعوب وقضاياها المصيرية .

من هنا نلاحظ التقاء غريبًا لدى بعض القادة والفلاسفة اليهود والماركسيين حول

نظرية التفتيت والبعثرة واستغلال التناقضات العرقية والطائفية في هذا الشرق انطلاقاً من شعار « فرق ، تسد » ومن هنا ايضاً فلبنان وحده من يمسك بيد الحوار الحضاري بين الاديان من اجل رخاء الانسان واستقرار العالم . وهذا يعني انه اذا كان الموازنة في أساس وجود لبنان فلبنان لا يكون ايضاً بغير المسلمين ، وبالأحرى بغير ولاء المسلمين . واذا كان للجيل الماضي ان يرى دور لبنان في كونه صلة وصل بين الشرق والغرب ، فان جيلنا بقدر ، بحكمة واعية ، ان استراتيجية لبنان المقبلة هي ، بالاضافة الى ذلك ، في أن يكون صلة وصل بين الشرق نفسه . هذا هو في الاساس معنى التكامل وشرعيته .

لبنان مرتكز وفاق ثقافي

هكذا يتحدد وجه أساسي من وجوه الدور اللبناني . فلبنان مسؤول ، كما تجدون عن زيادة ثقافة جديدة لانسان العصر الطالع ، تحرره من قيود الطقوس ورواسب المذهبيات لتدفعه الى الجوهر ، حيث اللقاء الانساني الأعمق والاشمل . والجامعة هي المنبر الثقافي الاساسي في عهودنا ، واذا كنا نجهد في بناء الدولة الجديدة على قامة الدور الذي نراه للبنان كما نريد ، فمن باب أولى ان تنهض الجامعات في لبنان ، وبالأخص الجامعة اللبنانية ، فتحرر مناهجها وتطور انظمتها وتدفع قدمًا للمشاركة في عملية البناء الاجتماعي فتحقق وفاقًا ثقافيًا للبنان ، على اساس ما شرحنا سابقًا ، مقدمة للقيام بالدور الثقافي على مستوى المنطقة بكاملها وعلى أرقى ما يكون لأنه كلما تقدمت المنطقة واستقرت مدنيًا ، استقرّ لبنان .

فيا أيها الشباب الجامعي ، يا نواة المرحلة الطالعة ، رجائي ان تحملوا تحدي البناء بكفاءة وعثابرة ، مسؤوليتكم ان تنتصروا على مغريات الارتخاء الاجتماعي والثقافي ، وأن تبذلوا ، بعناد ، كل جهد يضمن التقدم والترقي وان تدأبوا بشهادة الرجال على التحصيل والدرس ، وأن تحافظوا على الانضباطية وعلى المسلكية التي شهدناها عندكم في ساحات الفداء ، فالدور دوركم والغد لن يكون الا منكم ، فاصنعوه بما يليق بكم . هذه الجامعة جامعتكم ، وانتم تذكرون انا لم نبخل بأي دعم ، يوم دارت معركة تأسيس هذه الكليات عبر السلطة المختصة ومجلس الاساتذة والهيئات الطلابية المسؤولة ، لتثبيت هذه الكليات التي تبقى عليكم جميعًا مسؤولية بنائها المستمر . لذلك المطلوب من الجامعات اليوم ان تغامر في صياغة هذه الثقافة الجديدة ، تقدمها لكل المنطقة التي تعيش الآن مرحلة البحث عن بعد ايديولوجي جديد . ولكن لكي تنضبط أصولية هذه المغامرة لا بد من التأكيد على :

اولاً : ضرورة الانطلاق من خصوصيات الذات فهي الاصل دائمًا .
ثانيًا : ضرورة تخطي الذات والانفتاح على خصوصيات الآخرين .

فالمرحلة المقبلة لم تعد مرحلة « الثقافات الانسانية » بقدر ما تتوق الى ان ترسم « ثقافة الانسان » .

هذه أسس لا يمكن التفريط بها او التهاون معها ، بل نحن ملتزمون بها لان معركة لبنان مستمرة وهؤلاء الشهداء ليسوا الا قافلة من قوافل الفداء اللبناني الدائم ، لبنان في نضال مستمر من اجل ان يكون وان يستمر ، وليس النضال حكرًا على ميدان واحد . ونحن الذين لم نقتنع بأن السلاح هو الاداة الوحيدة للبناء الوطني ، عملنا في وقت واحد ، وانطلاقًا من تاريخ لبنان النضالي والبطولي ، على ان تكون هذه الانتفاضة ثورة لبنانية حقيقية تهدف الى بناء المجتمع اللبناني ، وخلق المواطن اللبناني في لبنان افضل انطلقنا ، بوعي وتصميم ، في بناء مرحلة جديدة ، تقوم ، قبل كل شيء ، على «تكاملية البناء» ، لأن الحضور الحق لا يأتي من باب واحد ، من هنا كان التكامل بين جميع المؤسسات منها الثقافية ، ومنها الاعلامية ، ومنها الاجتماعية .

خضنا تجربة البناء المؤسسي مع سلسلة من رجال هذا الوطن تثق بنفسها وتؤمن بالحق والصبر والتضحية ، فكانت « انتفاضة التنظيم » التي تتشكل اليوم في « اسرة مؤسسات الانماء للبنان » « أمال » وتؤكد ان مرحلة الانماء الجديد تفترض منهجية عمل جديد هو « المبادرة المؤسسية » . اجهزتنا المستحدثة التي ظاهرها ثوري فيما واقعها مؤسسي كانت تعمل على استقطاب النخبة وما اكثرها في لبنان وخلافًا لما جرت عليه الدولة في اختيارها رجالاً يتمتعون بذهنية معينة تطغى عليها العقد ومركبات النقص ، وذلك كنتيجة للتركيبة اللبنانية المتميزة بتداخل الاقطاع السياسي بالعشائر السياسية والطائفية السياسية في ظل نظام يسمى ديمقراطيًا ، فقد تحركت أجهزتها طليقة اليدين يدفعها أناس متفوقون ومخلصون ومتحررون وضعوا نصب اعينهم شعار تحقيق بناء الدولة والمواطن في لبنان » (امين الجميل : العمل السنوي تشرين الثاني ١٩٧٧) .

اننا نؤمن ان البناء الفعلي لا يتم الا في خطين : أفقي يعمل على الافادة من جميع الامكانات والطاقات المتوفرة في كل ميدان وكل صعيد ، وكل فرد او مؤسسة ، وخط عمودي يعمل على التنسيق بين هذه الطاقات ضمن اهداف واعية أفرزتها الدراسات العميقة والتخطيطات الجادة . ضمن هذا السياق جهدنا في تأسيس « اتحاد البلديات » في المتن الشمالي الذي نعمل على ان يتحوّل الى نموذج حي ومميز لتطور المناطق اللبنانية وعافية كل شعب هي في حلمه ، وفي تحقيق هذا الحلم .

لبنان مرتكز الحركة الاقتصادية والاجتماعية

اذا كان لبعض بلدان الشرق الاوسط ان تعطي النفط والمواد الخام الاخرى من تربة زراعية او معادن ... فان لبنان يؤلف طاقة « الخبرة القصوى » في انسان هذه المنطقة وهي

ثروة لا تضاهى على صعيد الانتاج والمردودية والتقدم . انها تشكل الاساس **النوعي** للاستثمارات المعاصرة باتجاه رخاء الجميع . ويردف هذه الطاقة كون لبنان يؤلف **مركزاً صلباً للمدى الحيوي الاقتصادي** : ولا اجدني مضطرًا معكم الى اثبات ذلك بوقائع وادلة نستنبشها من سجلات التاريخ او من حكايات الماضي. ان لنا في الواقع المعاصر الذي شهده لبنان خلال المحنة الأخيرة وعلى امتداد اكثر من اربع سنوات ما يثبت اثباتًا قاطعًا بان هذا الوطن ضرورة للمنطقة لا بد منها ، بل ضرورة اقتصادية لا يعوضها اي جزء آخر من اجزاء الشرق الأوسط :

١. فمقابل احداث ايران، وهي الغنية بالنفط وبالاحتياط النقدي الذي يزيد على ٨ مليارات دولار وباحتياط من الذهب والجواهر الذي يفوق على ٢ مليار دولار ، هذه الأحداث التي لم تكن اكثر من تظاهرات لم تمتد الى اكثر من شهرين ..... ادت الى شل القطاع الاقتصادي والاجتماعي في ايران مما حتم ، انقاذًا للوضع ، اعادة تنظيم البنية المالية والاقتصادية والاجتماعية .

٢. ومقابل محاولات اثينا وعمان وقبرص والقاهرة ... في ان تحمل مجتمعة عبء بيروت ، هـذه المحاولات نعرف جميعًا كيف عجزت عن ان تعوض دور بيروت الفريد خلال احداث ١٩٧٥ – ١٩٧٦ في الأقل .

٣. ورغم معاناة لبنان طيلة الاربع سنوات لأفتك أشكال الخراب والدمار والتشتيت. ورغم تنويع اشكال هذه الحرب الشرسة من حرب أهلية بين ابناء الوطن ، الى حرب عربية ، الى حرب عربية اسرائيلية ، الى حرب اقتصادية استهدفت مراكز التجمع الانتاجي والصناعي في الجبل وفي بيروت وفي البقاع وفي الشمال وفي الجنوب ورغم محاولات النيل من ايمان النفس اللبنانية بالحياة ، وبالأمل ، ودفعها ، بشكل او بآخر الى مواقع اليأس والانتحار الداخلي عبر بعثرة الطاقات اللبنانية في حدود الارض المترامية ، وعبر فاجعة الاقتلاع الوجداني والاجتماعي والاقتصادي والحضاري ... رغم كل ذلك ، وبالاضافة الى كل ذلك :

(١) لم يسقط النظام المصرفي والمالي في لبنان .

(٢) بقي جزء كبير من حركة الانتاج والفعاليات الاقتصادية تمارس اعمالها في أحرج الظروف .

(٣) الشركات الدولية وان نقل بعضها اعماله من لبنان الا انها أبقت على موازنات لها مفتوحة ، كي تعود حين تعود مسيرة الأمن في لبنان وقد بدأت بالفعل تباشير هذه العودة .

من هنا يرتسم لنا جميعًا رغم مرارة المراحل التي عاشتها الأزمة في لبنان . جانب مضيء اكد لبعض الاطراف والفئات في مجتمعنا وفي المجتمع الدولي ان لبنان **حاجة** المنطقة . انه مركز ديناميتها المالي ومركز خبرتها البشرية . لذلك فهي مصلحة الجميع ان

يقدموا للبنان كل مساعدة ليبقى لهم حلقة الضمان الأساسية لتقدمهم : لبنان فوق كونه حاجة ثقافية هو ، على حد سواء ، حاجة اقتصادية لخير المنطقة .

هكذا تتحدد العلاقة بين لبنان والمنطقة على انها علاقة تعاون متبادل ، وليست علاقة معوزين . وحسبي ان اذكركم بالدراسات وبالمشاريع التي وضعها الشيخ موريس الجميل والتي تبرز دور لبنان الاقتصادي النابعة اساسًا من حاجات المنطقة المتبادلة ، واخص بالذكر هنا مشروع « الأنابيب المزدوجة » : واحدة تحمل النفط العربي من الصحاري الى الشواطئ اللبنانية وأخرى تحمل المياه اللبنانية العذبة الى العرب .

كلية الحقوق – الجامعة اللبنانية

19 نيســـان 1979